نحو بيئة نظيفة وفقا للأسس الشرعية

د. يوسفي نور الدين
جامعة بسكرة

د. دمانة محمد
جامعة الاغواط

الملخّص:

لم يعرف العالم تحركا تجاه حماية البيئة والاهتمام بها إلا عندما ازدادت رقعة الأضرار التي اصابت البيئة، بحيث اتجهت مختلف الدول مسخرة في ذلك كافة الإمكانيات ومعلنة حالة الطوارئ لمواجهة هذه الإشكالية التي باتت تهدد العالم كافة، وقد ركزت مختلف الجهود على إيجاد حلول واقعية وآليات قانونية، إذ كانت نقطة البداية من المواثيق الدولية وأولها إعلان استوكهولم، وفي مقابل ذلك كان دين الرحمة سباقا لذلك من خلال ترسيخ العديد من الحلول الوقائية لحمايتها.

Abstract:

The world has not moved towards environmental protection and attention unless the extent of damage to the environment has increased. The various countries have resorted to all possibilities and declared a state of emergency to confront this problem that is threatening the world. The various efforts focused on finding realistic solutions and mechanisms Legal, as it was the starting point of the international conventions and the first Stockholm Declaration, and in return, the religion of mercy was a race by establishing several preventive solutions to protect them.

الاهتمام العالمي بالبيئة

إن مضمون مصطلح المشكلة البيئية يثير العديد من الاعتبارات منها: الاختلال الحاصل للتوازن الطبيعي، نتيجة الاستغلال غير الرشيد للموارد البيئية، وزيادة الاختلال في القدرة الطبيعية على استيعاب هذا الخلل بشتى الطرق سواء الوقائية أو العلاجية[1].

وظهور المشكلة البيئية كان نتيجة حتمية للعديد من العوامل التي ساهمت في تفاقمها، كتعامل الإنسان مع البيئة من خلال منطق مادي لا يؤمن بوجود خالق للكون والغاية من وراء ذلك وجعله متناسقا ومنظما، باعتبار أن الإنسان مجرد انبثاق عن المادة، ونتيجة لذلك جاء الاندفاع الجنوني للإنسان في استغلال الموارد الطبيعية وإخضاعها له، ولو على حساب الطبيعة وتوازنها من خلال استخدام الوسائل التكنولوجية، معتمدا لغة الأرقام دون الاعتراف بأهميتها وأهمية حمايتها أو الموارد الكامنة التي تعتبر رصيدا للأجيال القادمة، باعتبار أن البيئة هي ملكية

عامة للبشر، ومسؤولية المحافظة عليها مسؤولية عامة سواء بالنسبة للأفراد أو الدول[2].

هذا ما دفع لتعدي طابع المشكلة البيئية الحدود الوطنية والقومية وجعلها تتسم بطابع عالمي ولعل هذا ما شجع بعض الفقه للقول بوجود طابع دولي لقانون حماية البيئة لأن هذه المشكلة تهم المجتمع الوطني لكل دولة، وهذه الصفة العالمية تجد أساسها في عدة أمور منها.

1) طبيعة النشاط الذي يؤثر سلبا على البيئة، إذ أن غالبية تلك الأنشطة تمتد آثارها عبر الحدود وتتجاوزها.

2) طبيعة من يمارس النشاط الذي يضر بالبيئة، لكون أن الأفراد هم المخضعين بقوانين البيئة في كثير من الأحيان للحد من الأنشطة المضرة، إلا أن الضرر الأكبر يأتي من قبل الدول[3].

وبالنسبة للجهود الدولية، فإنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة فترات أو مراحل: حيث أن المرحلة الأولى امتدت بين «1900إلى غاية 1972»، إذ كانت اتفاقية الطيور المفيدة للزراعة أول اتفاقية متعددة الأطراف تتعلق بصنف من الحياة البرية والتي عقدت في 1902[4]، ومن أول النصوص المتعلقة بحماية البيئة، تلك الواردة في تحديد الحدود المائية المتضمنة احترام الحدود المائية بين الو. م. أ وكندا اتفاقية عام «1909» والتي مازالت سارية المفعول، كما برزت الجهود الرامية لمكافحة التلوث البحري، فكانت اتفاقية لندن 1954 لمنع تلوث البحار بالنفط[5]، ومعاهدة موسكو لعام 1963 المتعلقة بالاستخدامات العسكرية وحضرها للأسلحة النووية التي تم اختبارها في الفضاء أو تحت الماء[6].

وفي عام 1968 اتخذت الأم المتحدة إجراءات ترمي إلى حماية البيئة، عندما أقرت الجمعية العامة عقد مؤتمر دولي حول البيئة البشرية في استوكهولم 1972[7].

حيث تم التوصل لإقرار خطة عمل من أجل البيئة البشرية مكونة من 109 توصية، وهنا تبدأ الفترة الثانية، وفي عام 1982 عقد في نيروبي مؤتمر آخر للبيئة بدعوة الأمم المتحدة، استعرض التدابير المتخذة لتنفيذ إعلان استوكهولم وخطة العمل، وأصدر إعلانا أقر عشر بنود اعتبر فيها إعلان استوكهولم مدونة دولية أساسية لقواعد السلوك البيئي للسنوات المقبلة[8]، وكذلك الميثاق العالمي للطبيعة 1982 واتفاقية فينا لحماية طبقة الأوزون لسنة 1985، دون أن نغض الطرف على بعض الجهود الإقليمية التي تمت بعد مؤتمر استوكهولم، ففي برشلونة فبراير/ شباط 1975 قررت البلدان المشاطئة للبحر المتوسط اعتماد خطة لحماية البيئة، وتنمية مع أقل تدهور للبيئة بالنسبة لهذه البلدان[9].

أما المرحلة الثالثة وهي مرحلة 1992 وما بعدها، حيث تم عقد مؤتمر ريوديجانيرو بالبرازيل في 14 جوان 1992، والذي شكل أكبر حشد عالمي حول البيئة والتنمية تحت إشراف الأمم المتحدة وعرف هذا المؤتمر باسم "قمة الأرض" بمشاركة 178 دولة[10].

وبالرغم من ذلك ذكرت الجمعية العامة المتحدة، أن التقدم المحرز في تنفيذ التنمية المستدامة وحماية البيئة كان مخيبا للآمال بشكل كبير، إذ تفاقم الفقر وأزداد تدهور البيئة، ولهذا وضع مؤتمر جوهانسبورغ المنعقد في 2002 الأساس، ومهد السبيل لاتخاذ إجراءات في هذا الشأن، غير أنه من بين جميع الأهداف والجداول الزمنية والتعهدات التي تم الاتفاق عليها في هذا المؤتمر، لم توجد حلولا مريحة للمساعدة في محاربة الفقر، وتدهور البيئة الطبيعية المتواصل، مما يلزم خلق خطوات عملية متواصلة للتصدي للكثير من مشاكل العالم الأكثر إلحاحا[11].

البيئة من منظور الإسلام

إن التشريعات والنصوص والأحكام الإسلامية تحض على عمارة الأرض وإصلاحها ومنع الفساد والضرر، وقد نظمت هذه التشريعات كل القضايا الإنسانية بكافة جوانبها وأبعادها، ومن بين ما تناوله الإسلام قضايا البيئة، فالبيئة في التصور الإسلامي هي منزل الإنسان وحاضنته ومعيله، وهي سنة كونية وآية ونعمة أنعمها الله على الكون والإنسان.

وقد تناول الإسلام البيئة بكل جوانبها، المادية والمعنوية، شأنها شأن كل ما يتعلق بالإنسان وحياته في التصور الإسلامي، واعتبرت البيئة بمواردها وعناصرها ومجالاتها أمانة في عنق الإنسان سخرها الله له لصالحة سليمة متوازنة ينتفع بها دون الإضرار أو الإفساد فيها، لأنها ليست ملكا لجيل بعينه بل هي ملك للأجيال القادمة[12].

وبالرجوع لنظرة الإسلام للبيئة ومكانتها نجده يعتبرها مشتركة في عبادة الله والمخلوقية له، وبذلك يجعل الإنسان جزء من أجزائها ومكون رئيسي من مكوناتها مصداقا لقوله تعالى: ﴿**من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾ [13]، ومن هنا فإن علاقة الإنسان بالبيئة علاقة وئام ووفاق، فهما مخلوقان من مادة واحدة، وبينهما صلة مشتركة، فالكون ليس عدوا للإنسان ولا عدوا للحياة، وليست الطبيعة خصما للإنسان يصارعه ويغالبه.

كما أن هذه البيئة مسخرة للناس حتى ينتفعوا بها، وهي نعمة من الله تستحق الشكر من جانبهم، جعلها مسخرة، للإنسان مصداقا لقوله تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا**﴾[14]،

وقوله أيضا: ﴿**وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه**﴾[15].

ولكونها مسخرة لهذا الإنسان، جعلها الله عزّ وجلّ زينة ولذة ورحمة وأشارت آيات القرآن الكريم إلى أن المآكل والمشارب والملابس، والمراكب، إنما خلقت طبيعية خالية من الأمراض والكيماويات لا يمكن أن تنعكس على صحة الإنسان بالسوء[16].

واهتمت الشريعة الإسلامية بالبيئة في العديد من الجوانب ونذكر على سبيل المثال حثها على التشجير والتخضير، حيث قال تعالى: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماءا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون**﴾ [17]، وهذا لما لذلك من منفعة وكذلك عنصر جمالي، وجاء نفس المعنى في السنة النبوية لقوله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طائر أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة**» [18].

كما أنه من المقومات الأساسية للمحافظة على البيئة العمارة، والنهي عن الفساد، لقوله تعالى: ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وأدعوه خوفا وطمعا، إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾[19]

ومن الوسائل التي حرص عليها الإسلام في حفظ البيئة العناية بالنظافة، والحقيقة أن موقف الإسلام من النظافة موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقربة بل فريضة من فرائضه لقوله تعالى: ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ [20]، وقوله صلى الله عليه وسلم »اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد وفي الظل وفي طرق الناس«[21].

وحث على المحافظة على الموارد الطبيعية وعدم الإسراف في استعمالها، سواء بالنسبة للثروة النباتية، أو المائية لقوله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾[22]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد وهو يتوضأ: «**لا تسرف فقال: يا رسول الله أو في الماء سرف، قال نعم وإن كنت على نهر جار**»[23]، كما حث على المحافظة على الثروة المعدنية والحيوانية[24]

ولم يغفل المسلمون الدور المهم للتخطيط العمراني للقرى والمدن وأثره على تقليل الإضرار بالبيئة[25]، كما تم الاهتمام منذ القدم بالبحث في خبايا البيئة، محاولة للتوصل لما يحميها ويصونها من كل الأضرار، بإيجاد حلول مناسبة للتحصل على بيئة نقية، دون أن تؤدي تلك الحلول لإيقاع الضرر بها، وهو ما وقع فيه الإنسان في العصر الحديث[26]

وعليه فإن السنة النبوية اتصفت بشمولها وكمالها في التشريع وهذا ببيانها لجميع الموضوعات الحيوية من حتى المعاصرة منها وعنايتها التامة بحاجات البشر كلها بل حاجات كافة

المخلوقات، لتحقيق وظيفتها في هذه الحياة، مع تحقيق الضمانات الطبيعية لها كما ظهر عمق التأثير الإيماني في إحسان التعامل مع البيئة، وذلك من خلال توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته، وتطبيقاتهم المباشرة والتامة لما تلقوه[27].

الخاتمة:

ان الضرر الحاصل للمكونات البيئية يؤثر فيه الانسان لوحده بتصرفاته غير المسؤولة، ولو تمسك كل منا بتعاليم الدين الاسلامي لكنا في غنى عن مختلف القوانين.

ونلاحظ ان قلة الثقافة البيئية وتميع التصرفات البشرية، في ظل تسارع الحركية الديمغرافية والتطور الحاصل في عالم معولم، جعل من المجتمعات النامية تساير ترفض حتى الجانب الاخلاقي في القوانين.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.
- أبو دواد في سننه، كتاب 1، الطهارة باب 14، المواضع التي نهي عن البول فيها.
- أحمد ملحة، الرهانات البيئية في الجزائر، مطبعة النجاح، 2002.
- البخاري في صحيحه، كتاب 41، الحرث والمزارعة، باب 1 فضل الغرس والزرع، رقم 2320.
- بن خدة حمزة، رعاية البيئة وفقا لمقاصد الشريعة الإسلامية، الملتقي الوطني الأول حول البيئة في إطار التنمية المستدامة بين الواقع ومقتضيات التطور، المركز الجامعي الجلفة، 05- 06 ماي 2008.
- بن ماجة في سننه، كتاب 1، الطهارة وسننها، باب 48، القصد في الوضوء، رقم 425.
- رجب عبد الحميد، حقوق الإنسان والبيئة والسكن، (؟) القاهرة، 2009.
- سامة الخولي، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، مطابع السياسة، الكويت، 2002.
- صلاح عبد الرحمن عبد الحديثي، النظام القانوني الدولي لحماية البيئة، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010، ص 42.
- عبد اللطيف السرطاوي، البيئة والبعد الإسلامي، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن، 2007، ص37.
- عبد الله المنزلاوي، البيئة من منظور إسلامي، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008، ص7.
- عبد الوهاب رجب هاشم بن صادق، التلوث البيئي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، 1977.

- علياء حانوغ بوران، محمد حمدان أبو دية، علم البيئة، ط2، دار الشروق،، الأردن 2000.
- فهد بن عبد الرحمان الحمودي، حماية البيئة والموارد، الطبيعية في السنة النبوية، ط1، داركنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2004.
- ماجد راغب الحلو، معنى الفساد وأمثلة عنه، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002.
- محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة من منظور إسلامي، ط1، دار الفجر، مصر، 1999.
- محمد يونس "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة"، العدد 142 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتجية، ط1، أبوظبي، 2009.
- معلم يوسف، تكافؤ القيد بين البيئة والسيادة في القانون الدولي، بحث لنيل شهادة الماجيستر جامعة قسنطينة، 2003.
- مهدي صالح السمراني، النشاط العمراني ونظافته، مهدي صالح السمراني، الحفاظ على البيئة في العصور العربية الإسلامية، تشريعا وتطبيقا، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2005.

مواقع الكترونية:

- hhtp//daccessedds. un. org. /doc/UNDoc/GEN/NO2/636/PDF/N0263691. pdf open etement .
- http/www. fao. org. /SARD/ar/sard/744/878/index. html

مجلات:

- النشاط الدولي"، مجلة الجزائر البيئية، مجلة دورية، تصدر عن كتابة الدولة المكلفة بالبيئة، عدد 02، الجزائر، 1999.

الهوامش:

1- راجع: د. رجب عبد الحميد، حقوق الإنسان والبيئة والسكن، (؟) القاهرة، 2009، ص 66، ص81.

2- محمد منير حجاب، التلوث وحماية البيئة من منظور إسلامي، ط1، دار الفجر، مصر، 1999، ص 81 .

راجع مقال بعنوان: "النشاط الدولي"، مجلة الجزائر البيئية، مجلة دورية، تصدر عن كتابة الدولة المكلفة بالبيئة، عدد 02، الجزائر، 1999، ص24.

3- معلم يوسف، تكافؤ القيد بين البيئة والسيادة في القانون الدولي، بحث لنيل شهادة الماجيستر جامعة قسنطينة، 2003، ص63، ص64.

راجع: أسامة الخولي، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، مطابع السياسة، الكويت، 2002، ص22.

4- راجع: محمد يونس "تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة"، العدد 142 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتجية، ط1، أبوظبي، 2009، ص18.

أنظر المادة 1 والملحق 2 من الاتفاقية، وقد عدلت هذه الاتفاقية مرتين، التعديل الأول عام 1950 حيث سميت اتفاقية تيبيلوكس الخاصة بالصيد وحماية الطيور، سجل المعاهدات الدولية والاتفاقية الأخرى في ميدان البيئة، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، نيروبي 1989، ص12، ص23.

5- أنظر الاتفاقية الدولية لمنع تلوث البحار بالنفط بصيغتها المعدلة في 11 نيسان/ أبريل 1963 وفي 1 تشرين الأول 69 لندن 1954، سجل المعاهدات والاتفاقيات الدولية في ميدان البيئة.

6- إن إلقاء القنابل النووية على هيروشيما ونكازاكي في اليابان في 06 و09 آب 1945 الأثر البالغ في الاهتمام باستخدام المفاعلات النووية وإجراء التجارب عليها

7- مؤتمر استكهولم المنعقد ما بين 5- 16 جوان 1972 في السويد، ضم العديد من النصوص القانونية، التي تم تبنيها وخاصة الإعلان بشأن البيئة البشرية والذي تضمن 26 مبدأ بالإضافة ل 109 توصية، وتشكل خطة عمل، وقرار يوصي بتنظيم العمل المؤسساتي والمالي من قبل الأمم المتحدة يشرف على الإدارة البيئة

8- صلاح عبد الرحمن عبد الحديثي، النظام القانوني الدولي لحماية البيئة، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010، ص 42.

9- برنامج الأمم المتحدة، خطة عمل لحوض البحر الأبيض المتوسط، الخطة الزرقاء، مستقبل حوض البحر المتوسط، ملخص وإرشادات للعمل مركز الأنشطة الإقليمية، الخطة الزرقاء للبحر الأبيض المتوسط، صوفيا انتبوليس، فرنسا (دت) .

10- أحمد ملحة، الرهانات البيئية في الجزائر، مطبعة النجاح، 2002، ص 08 ص 10

منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، "مؤتمر قمة الأرض وجدول أعمال القرن 21 "، في الموقع الإلكتروني http/www.fao.org./SARD/ar/sard/744/878/index.html تاريخ الاطلاع 20 مارس 2008.

11- للاطلاع على التقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية المستدامة المنعقد بجوهانزبورغ بجنوب إفريقيا 26 أوت 4 سبتمبر 2002 الموقع الالكتروني :

hhtp//daccessedds.un.org./doc/UNDoc/GEN/NO2/636/PDF/N0263691.pdf open etement.

12- عبد الله المنزلاوي، البيئة من منظور إسلامي، ط1، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2008، ص7.

13- سورة الروم، الآية 20.

14- سورة الملك، الآية 15.

15- سورة الجاثية، الآية 13.

16- عبد اللطيف السرطاوي، البيئة والبعد الإسلامي، ط1، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان- الأردن، 2007، ص37.

17- سورة النحل، الآية 10.

18- رواه البخاري في صحيحه، كتاب 41، الحرث والمزارعة، باب 1 فضل الغرس والزرع، رقم 2320.

19- سورة الأعراف، الآية 56، أنظر معنى الفساد وأمثلة عنه في كتاب، ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2002، ص 50ص 51.

20- سورة البقرة، الآية 222.

21- رواه أبودواد في سننه، كتاب 1، الطهارة باب 14، المواضع التي نهي عن البول فيها، قال حدثنا اسحاق بن سويد الرملي، وعمر بن الخطاب أبو حفص أن سعيد بن الحكم حدثهم قال أخبرنا نافع بن زيد حدثني حيوة بن شريح، أن أبا سعيد الحميري حدثه عن معاذ به.

22- سورة الأنبياء الآية 30.

23- رواه بن ساجة في سننه، كتاب 1، الطهارة وسننها، باب 48، القصد في الوضوء، رقم 425 قال حدثنا محمد بن يحي تناقيته في تناقتيته ثنا ابن لهيعة عن حي بن عبد الله المعارفي عن أبي عبد الرحمان الحبلي عن عبد الله بن عمر.

24- لمزيد من المعلومات أنظر، بن خدة حمزة، رعاية البيئة وفقا لمقاصد الشريعة الإسلامية، الملتقي الوطني الأول حول البيئة في إطار التنمية المستدامة بين الواقع ومقتضيات التطور، المركز الجامعي الجلفة، 05- 06 ماي 2008.

25- عبد الوهاب رجب هاشم بن صادق، التلوث البيئي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الرياض، 1977 ص. 05 ص06.

أنظر حول النشاط العمراني ونظافته، مهدي صالح السمراني، الحفاظ على البيئة في العصور العربية الإسلامية، تشريعا وتطبيقا، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2005، ص.215 ص 203.

26- علياء حانوغ بوران، محمد حمدان أبو دية، علم البيئة، ط2، دار الشروق،، الأردن 2000، ص. 12 ص16.

27- فهد بن عبد الرحمان الحمودي، حماية البيئة والموارد، الطبيعية في السنة النبوية، ط1، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2004، ص. 416.